التفسير التحليلي

تاريخ وتطور

إعداد

أ.د مشعان عبد سعود العيساوي

أستاذ التفسير في كلية الإمام الأعظم

Issn : 2071-6028

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على النبي الأكرم، محمد أفضل من علم وعلم، وعلى آله وصحبه التابعين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا بحث موجز تتبعت فيه أحد مناهج التفسير، ألا وهو التفسير التحليلي، وقد بينت فيه تاريخه وتطوره، وما يكن أن يضاف إلى ما سطره السابقون من خطوات، وقد بينت أن هذا المنهج لا يقتصر دوره على الخطوات المعلومة المتبعة، بل يمكن أن تضاف خطوات كثيرة، من أجل تطويره ودفعه إلى الأمام، لكي يلبي حاجة العصر، ويستقيم مع تطور العلم والفكر، بل وربما يكون أكثر صلاحية للدعوة ونشر هذا الدين.

وقد جعلته في ثلاثة مباحث:

أما المبحث الأول: التفسير التحليلي، تعريفه وبيان أهميته، وصلته بالأنواع الأخرى.

وأما المبحث الثاني: فقد تحدثت فيه عن تطور هذا المنهج عبر المراحل التاريخية.

وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن التفسير التحليلي في العصر الحديث، وما يمكن أن يضاف إليه من خطوات أخرى.

ثم الخاتمة والمصادر.

والله أسأل أن يكون عملي موافقا للصواب، والحمد لله رب العالمين.

ملخص بحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد) فإن التفسير التحليلي يعد من أوسع المناهج التفسيرية وأكثرها شيوعا واستعمالا، حيث يقوم المفسر بالكلام عن الآية جملة جملة، وكلمة كلمة، بعد تفكيكها وتجزئتها وبيان ما فيها من معان وأحكام ودلالات وقراءات وإعراب وبلاغة وأسلوب... وغير ذلك مما يقتضيه الحال والمقام، كما عليه أن يبين أسباب نزولها ومناسبتها للسابق واللاحق.

ولعل القرن الثالث قد شهد التوسع في دلالة الآية، وألفت فيها كتب مستقلة عبر كتب التفسير، ولكن أبا جعفر ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) يعد الرائد في هذا الميدان، وأوسع من سلك هذا الطريق، وتناول التحليل لكل كلمة من القرآن في أغلب الوجوه العلمية.

ثم سار على نجه الثعلبي، ثم الزمخشري، وابن عطية، وإن لم تكن تفاسيرهم تناولت جميع ما يتعلق بالآية، وليس لهم ذلك المنهج الذي عرف فيما بعد عند ابن حيان الأندلسي في

Issn: 2071-6028

(البحر المحيط) ، حتى توالت التآليف الموسوعية التي تناولت النص من جميع نواحيه، كما هو عند ابن عادل الحنبلي في تفسيره (اللباب) ، ثم عند المتأخرين كالآلوسي في (روح المعاني) ، وكذلك سلك هذا المنهج كثير من المحدثين والمعاصرين.

ولكن العصر الحديث شهد تطورات في هذا المنهج نظرا للتغيير الحاصل في شتى مجالات الحياة، فبرزت هناك بعض العلوم والمعارف التي اقتضت التوسع في التحليل والتفسير.

ولعل أبرز ما وصل لهذا النوع من التفسير هو الابتعاد عن بعض المسائل التي تقحم في كتب التفسير، وليس لها علاقة مباشرة بالنص، وإنما كانت من قبيل الاستطراد، كالمسائل النحوية وخلافات المدارس فيها، وكالمسائل الكلامية والردود على بعض الفرق المغرقة في التفسير، وكاستبعاد بعض القصص والخرافات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة.

كما شهد التفسير التحليلي طفرة في إضافة بعض المعارف والعلوم، زيادة في توضيح النص القرآني، ولعل أبرزها وأهمها ما يسمى بالتفسير العلمي، مما يخص الآيات الكونية والتي دعا الله تعالى في كتابه العزيز إلى التفكر فيها، وأخذ العبرة منها، فجاء العلم الحديث ليوقف الإنسان على عجائب قدرة الله، وتوسيع دائرة فهمه لأسرارها، مما يزيد الإيمان ويعمق اليقين.

كما وأن فيها إشارات إلى حقائق علمية أو نظريات محققة قد يحتملها النص القرآني، مما يؤكد صدق القرآن ومصدريته الربانية، ليكون شاهدا على إعجازه وأنه ليس من صنع البشر، وإن احتملت هذه الأمور الخطأ، ولكن الخطأ في التفسير إذا كان ضمن القواعد والأصول التي يجب أن تتبع يكون معفوا عنه، فليست كل الآراء في التفسير مقبولة، ولكن بشرط عدم التكلف والتمحل وتحميله ما لا يحتمل.

كما يجب على المفسر أن يكون على علاقة وارتباط بالمستجدات في الثقافات الإنسانية المعاصرة، والتي أصبح لها من الثبوت والواقعية مكانة مرموقة يتداولها الناس في حياتهم، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، والاقتصاد، والحضارة... وغير ذلك.

فتضاف هذه العلوم إلى خطوات التفسير التحليلي السابقة؛ لأهميتها ولكونها تضع المسلم المعاصر أمام الواقع، والإفادة من خبرات الناس، وليكون المسلم أكثر ملاءمة للعصر الذي يعيشه.

وهناك وبصورة عامة فإن أسلوب التفسير التحليلي في العصر الحديث يجب أن يأخذ طابع الدعوة والإرشاد وهداية الخلق، واستخدامه في نشر الإسلام، سواء أكان في البلدان الإسلامية أم الأجنبية، فلذا تكرس مفاهيم الآيات لدعوة الخلق إلى هذا الدين، وسيعطي هذا

Issn: 2071-6028

المنهج للدين وللقرآن حيويته ونضارته، وبهذا نكون قد وضعنا أنفسنا أمام كتاب له منهج لحياتنا يلائم عصرنا، ودافعا لأمتنا للتمسك به وبأحكامه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية : منهج ، تفسير ، تحليلي.

Issn: 2071-6028

المبحث الأول

التفسير التحليلي، تعريفه، وبيان أهميته، وصلته بالأنواع الأخرى

المطلب الأول

التفسير في اللغة والاصطلاح

التفسير في اللغة: هو البيان والتوضيح، وكشف المغطى.(١)

وفي الاصطلاح: "هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية".(٢)

١. التحليلي: نسبة إلى التحليل، والتحليل أصله من (حل) يقول عنها ابن فارس: "الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذ عنه شيء، يقال: حللت العقدة أحلها حلا"(٣) ، ويقول صاحب مختار الصحاح: "حل العقدة فتحها فانحلت".(٤)

ولها معان كثيرة أوردها أصحاب المعاجم، وقد لا تعطي المعنى الذي هو مقصودنا، فقد أصبح مقصود هذه الكلمات في المصطلحات العصيرة يراد منها كما قال صاحب المعجم الوسيط: "حلل العقدة حلها والشيء، أرجعه إلى عناصره، يقال: حلل الدم وحلل البول، ويقال حلل نفسية فلان درسها لكشف خباياها، ثم قال: محدثة".(٥)

إذن فالتفسير التحليلي: هو سلوك المفسر طريقة فك الآيات إلى كلماتها، والوقوف على دلالتها من جميع النواحي، وبيان ارتباط الكلمة مع أخواتها في الجملة.

ولا يوجد تعريف قديم لهذا المصطلح، وما وجد فيه متأخرا عن بعضهم إنما هو قريب مما ذكرته.(٦)

ومن ذلك قول بعضهم: "هو تبيين معاني الكلم القرآني إفرادا وتركيبا، بواسطة تفكيك الآيات والجمل والكلمات إلى أجزائها، ليعطي كل جزء ما تستحقه من البيان".(٧)

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ف س ر) : ٣٥٥.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ١٣٣.

(٣) مقاييس اللغة، مادة (ح ل ل) : ٢٧٢.

(٤) مادة (ح ل ل) : ١١٥.

(٥) المعجم الوسيط، مادة (ح ل ل) : ٤٠٤.

(٦) ينظر: منهج التفسير التحليلي للنص القرآني، للأستاذ الدكتور محمد صالح عطية: ١٣.

(٧) التفسير التحليلي، الشطر الأول من سورة آل عمران، شاكر جمعة الكبيسي: ١٢.

Issn: 2071-6028

المطلب الثاني

أهمية التفسير التحليلي

إن التفسير التحليلي والمنهج الذي اتبعه العلماء عبر العصور، كان له فوائد متعددة، وغايات سامية، تحققت من مدلول هذا المنهج، يمكن إجمالها بما يأتي:

أولا: ما ينطوي عليه هذا المنهج من الاستقصاء والتتبع لكل أجزاء النص، فلا يترك منه شيء، ولهذا يعطينا إحاطة كاملة بالمفردات والتراكيب، حيث يمكن أن نستخرج الأحكام الكثيرة والمعاني الكامنة في النص، وبهذا تكثر المعاني وتتجلى مكونات النصوص.

ثانيا: إن هذا المنهج يدعو سالكه إلى التبحر في علوم متعددة، ليمكن معالجة النص من جميع نواحيه، ولا يكتفى فيه بمجرد نظرات خاطفة، وكلما زاد علم الدراس، وتنوعت معارفه، وكانت إحاطته بالنص أمكن، وكانت استنتاجاته أدق وأشمل؛ وذلك كان العلماء يتهيبون الكتابة في التفسير إلا في أواخر أعمارهم.

ثالثا: إن هذا المنهج يعمق التفكر، ويزيد قوة الغوص إلى المعاني، ولا يكتفى فيه بالنظرة العاجلة أو السطحية؛ ولهذا يحتاج إلى نوع من قوة وإمكانية الاستنباط، وقابلية الاختيار، والقدرة على الترجيح والتوفيق بين الآراء، وهذا ما يظهر شخصية الباحث، فيجب عليه أن يقدم علما لا أن يكون ناقلا فقط.

رابعا: إن المتمكن من هذا المنهج يستطيع أن يوظف هذه المعلومات في ميادين متعددة كحقل الدعوة والخطابة، وسلوك المنهج الموضوعي للتفسير؛ ولذلك يعد مقدمة وأساسا للتفسير الموضوعي، الذي كان له في اتجاهات التفسير ومناهجه الحديثة مكانة مرموقة، ولا يمكن الإبداع فيه إلا بالإحاطة بالتفسير التحليلي، وهو مادته الأساس.

خامسا: ما قاله البعض من أن التفسير التحليلي قد حجب الهداية القرآنية عن النفوس، حتى بالغوا في التفسير الجزئي، قول غير صحيح؛ فإنه لا يمكن للمفسر أن تفسيرا موضوعيا أو غيره أن يصل إلى مبتغاه ما لم يجعل التفسير التحليلي أساسا له، كما تقدم.

Issn: 2071-6028

المطلب الثالث

أنواع التفسير وصلة التفسير التحليلي بها

التفسير من حيث طريقته ومنجه الذي اتبع في تفاسير العلماء له أنواع أربعة، ذكرها العلماء، وسنذكرها حسب ترتيبها الزمني في الظهور:

١. التفسير الإجمالي: وهو التفسير الذي يقوم على الإجمال والإيجاز والاختصار، بدون توسع أو تطويل في التحليل، وإنما قصده استجلاء المعنى المراد ثم صياغته بأسلوب يتناسب وإدراك المخاطبين.

وهذا ما نجده غالبا عند ظهور التفسير في زمن الصحابة أو التابعين أو تابعيهم، حيث الإيجاز وعدم التفصيل والتطويل، وهو غالبا ما يسمى بالتفسير المأثور.

مثل: تفسير الوجيز للواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، وتفسير الجلالين – المحلي والسيوطي – ومثل كثير من التفاسير الحديثة، كصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف، وتفسير المنتخب لجماعة من علماء الأزهر.

٢. التفسير التحليلي: وهو كما أوضحناه من قبل، وقد سار عليه أغلب المفسرين القدامى، ويتفاوت المفسرون فيما بينهم لهذا النوع من التفسير الذي يصبغ بصبغة مؤلفه فيه، كالتفاسير اللغوية، والتفاسير البيانية، والتفاسير الفقهية...

وعلى هذا التفسير تعتمد بقية الأنواع الآتية.

وهذان التفسيران قد سلكا قديما كما سلكا حديثا، ويمتدان عبر العصور والأزمان.

٣. التفسير الموضوعي: وهذا النوع من التفاسير المستحدثة والعصرية وإن كان له جذور في الماضي، ولكن ليس بهذه السعة ولا بهذه المنهجية، والتفسير الموضوعي هو: "جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن، المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا وحكما، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية".

ويأتي هذا النوع بعد إحكام التفسير التحليلي، وقد أصبح اليوم هو الغالب على الرسائل الجامعية وغيرها، حيث كتب في الكثير تأصيلا وتنظيرا، كما كتب فيه تطبيقا وتحليلا.

٤. التفسير المقارن: وهو عملية الاستقصاء وجمع الأقوال التي قيلت في تفسير الآية أو السورة، أو لمجموعة آيات ذات موضوع، ثم دراستها راسة تعمق وتدقيق للتعرف على القول الراجح أو الأوفق، بعد أن يتبين منهاج المفسرين وأسس انطلاقهم في تفسير وتحديد المعنى المراد، وتوضيح عناصر الموضوع والربط بين الأساليب القرآنية، للوصول إلى الهدايات القرآنية المتعلقة بالموضوع مجال البحث.

Issn: 2071-6028

ولا شك أن جل اعتماد المفسر فيه أو الباحث هو التفسير التحليلي، ولكن قد يستخدم أسلوب التفسير الإجمالي للتعبير عن حكمه على التفاسير التي قارن بينها.

وهذا النوع أيضا مما سلك حديثا، ولكن ليس بسعة التفسير الموضوعي، ولا تزال الكتابات فيه قليلة، ومعالمه ليست واضحة أيضا للباحثين؛ ولذلك فهو بحاجة إلى التأصيل أكثر للوصول إلى قواعد تحكم هذا النوع.(١)

صلة هذا النوع بالمناهج التفسير المتعددة

وضع كل مفسر منهجا لعمله في تفسيره والخطة التي رسمها والطريقة التي صدرها، كاتجاه بعضهم إلى بيان اللغويات، والآخر إلى الفقهيات، أو البلاغيات، أو التفسير بالأثر، أو بالمنهج الاجتماعي أو الدعوي.

فهذه في الحقيقة إنما هي اتجاهات المفسر حسب إتقانه لبعض هذه العلوم، أو رغبته في تخصيص بعض العلوم التي جاءت في القرآن الكريم، ولذلك فالتفسير التحليلي قد يستخدم هذه الاتجاهات كلها، ويتعرف على موضوعاتها، ويفصل القول فيها، ويبين ما انطوت عليه الآية من هذه المعاني.

فهذه المناهج إنما هي أقسام داخلة في التفسير التحليلي، وليست أقساما مباينة له وقسيما لها.

المبحث الثاني

تطور منهج التفسير التحليلي

إن المتتبع لحركة التفسير وتطوره عبر المراحل التي مر بها هذا العلم، يلاحظ أنه قد مر بمراحل متعددة حتى وصل إلى ما وصل إليه، من وضوح وقواعد مثلى:

فالمرحلة الأولى

كان فيها التفسير التحليلي يقتصر على بعض الكلمات الغامضة أو الغريبة أو المشكلة، وكان التفسير التحليلي للكلمات لغويا نادرا جدا في عهد النبيﷺ لعدم حاجة المجتمع آنذاك لمثل هذا اللون؛ لتمكنهم من اللغة وعدم اختلاطهم بالأعاجم، حتى قيل إنه لا يوجد في عصر النبيﷺ تفسير لغوي.(٢)

---

(١) استفدت في هذا المطلب من كتابي: مباحث التفسير الموضوعي، أ. د. مصطفى مسلم: ٥٢ – ٥٤ ، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي: ٢٧ – ٢٨.

(٢) ينظر: تطور تفسير القرآن، للدكتور محسن عبد الحميد: ١٧.

Issn: 2071-6028

وكان جل اعتماد التفسير على أسباب النزول الذي يعد غالبه من باب التفسير المرفوع وحكمه، وطريق هذا هو النقل عمن حضر التنزيل وشاهد نزول الوحي.(١)

وقد وجدت هناك تفسيرات وتوضيحات من النبيﷺ منها تفسيره القرآن للقرآن، أو شرحه لمصطلح معين، أو بيان أحكام الحلال والحرام، أو تأكيد لبعض أحكامه أو تخصيصها، أو بيان مجملها.

وقد وردت مجموعة كبيرة من الأحاديث التي لها علاقة بتفسير الآيات بصيغة مباشرة أو غير مباشرة.(٢)

وبقي الكثير من الآيات لم يتعرض لها النبيﷺ ببيان وإيضاح وتفسير، إما لعدم حاجة الناس إليها، أو تركها لعلم البشر واستخدام عقولهم وأفكارهم في استنباط معانيه.

المرحلة الثانية

وهي التي توسع فيها التفسير بصورة أكبر؛ حيث أصبحت الحاجة ملحة لبعض الداخلين في الإسلام ممن لم يشهد الوحي في فهم بعض الآيات، فبدأت الحاجة إلى التفسير اللغوي تتسع شيئا فشيئا، حيث انتشر الإسلام وعم الشرق والغرب.

وقد نقل عن سيدنا عمرﷺ الدعوة إلى الاهتمام بالجانب اللغوي، وكان ابن عباس رضي الله عنهما خير من تصدى لهذا اللون، وقصته مع نافع بن الأزرق مشهورة معلومة.(٣)

كما كان لاجتهاد الصحابة والتابعين أثر فعال في تطور التفسير، فقد اجتهدوا في تفسير القرآن في ضوء قواعد الشرع واللغة، ولهم أقوال رويت عنهم، وحفظت في كتب التفسير والسنة، وكان غالبها مما يتعلق باللغة، أو بالأحكام الفقهية، حيث نشأت حركة تفسيرية في الأمصار الإسلامية كمدرسة مكة، ومدرسة المدينة، ومدرسة البصرة، والكوفة، واليمن، والشام.

وبهذا أصبحت أقوالهم لمن بعدهم عمدة التفسير بالمأثور، وكان الاختلاف فيما بينهم قليلا وفي إطار المسائل العلمية الفقهية، وقليل من العقدية.

ومع كل هذا فلم يفسر القرآن كله في هذه المرحلة، لا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين مع ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية.

فكانوا يكتفون كثيرا بالمعنى الإجمالي ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلا.(٤)

---

(١) ينظر: كتب الأحاديث التي أوردت أبوابا خاصة بالتفسير، كالبخاري، والترمذي وغيرهما.

(٢) ينظر: الدر المنثور للسيوطي، حيث أورد الكثير من الأحاديث، وقد جمع بعضها في آخر كتابه الإتقان.

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٣٤٧ وما بعدها.

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ١٠٠.

Issn: 2071-6028

المرحلة الثالثة: مرحلة التأصيل

بدأت هذه المرحلة للتفسير التحليلي بعد التدوين للعلوم الإسلامية، وظهور علوم جديدة تخدم القرآن الكريم، وبدأ التحليل للنص القرآني على شكل أوسع.

حيث ألفت المعاجم اللغوية، واتسعت دائرة علوم اللغة، كالنحو والصرف والبلاغة، لذا بدأت خدمة النص بالتوسع في المفهوم اللغوي للكلمات القرآنية الغريبة، فألفت على شكل كتب مستقلة كل كتاب أو علم يتناول النص القرآني من زاوية.

فمنها مثلا: مجاز القرآن، لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) الذي فسر فيه دلالات الألفاظ القرآنية، وبين القراءات، وتحدث عن أساليب القرآن تفسيرا لغويا خالصا.[1] وقد وضع اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية القرآنية من تشبيه أو كناية، أو حذف، أو تقديم وتأخير.

ومنها ما يسمى بكتب المعاني، مثل تفسير (معاني القرآن) لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) الذي اهتم بضبط الألفاظ من خلال حديثه في القراءات وضبطها وتصحيحها، كما تحدث عن الألفاظ من حيث إعرابها واشتقاقها.

وكذلك ما فعله الأخفش (ت ٢١٥هـ) في (معاني القرآن) الذي اهتم بالأصوات اللغوية، ووصف مخارجها، وبيان صفاتها، وعرض فيه وجوه القراءات المختلفة، وشرح الألفاظ، وبين موضعها من كلام العرب لغة وصرفا ونحوا وبلاغة.

وهكذا اتسعت دائرة التحليل اللغوي لألفاظ القرآن، والتعمق في بيان الإعراب والأوجه البلاغية، وذكر القراءات وتوجيهها.

ومن مظاهر هذه المرحلة اتساع دائرة استنباط الأحكام الفقهية، واتساع دائرة الخلاف بين المدارس الفقهية، حيث ظهرت أهم مدارس الفقه في العالم الإسلامي، وأصبح لكل مدرسة تلامذتها وأتباعها، ودونت أقوال الفقهاء، ووضعت لها الأصول الفكرية والمذهبية وخدمة الأدلة، وتوسع الاستدلال، ومن ذلك ما تناولوا فيه القرآن الكريم ما ورد فيه من أحكام فقهية، استطاع الفقهاء أن يستنبطوا الكثير من الأحكام، بل وبدأت دراسة النص القرآني من الزاوية الفقهية فقط.

ولعل أقدم مؤلف في ذلك (أحكام القرآن) للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، ثم ما ألفه أتباع المذهب المالكي، كإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢هـ) ، أو ما ألفه أتباع الإمام أبي حنيفة، كالطحاوي (ت ٣٢١هـ) ، ثم توالت التآليف وبلغت العشرات بعد ذلك.

إضافة إلى كتب الأحاديث والآثار التي نقلت لنا أقوال الصحابة والتابعين، أو ما ورد فيها من أحاديث مرفوعة إلى النبيﷺ في توضيح بعض الآيات القرآنية.

---

(١) ينظر: تطور تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد: ٥٠.

Issn: 2071-6028

كما أن هناك كتبا استقلت بنقل أسباب النزول، منها ما أفرده بالتصنيف، كعلي بن المديني شيخ البخاري (ت ٢٣٤هـ).

كما كان لانفراد القراءات بالتأليف أثر في دراسة النص القرآني، فأول مصنف في القراءات كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، ثم أحمد بن جبير الكوفي، ثم إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢هـ).

وكذلك ما ألف في الناسخ والمنسوخ، حيث ظهرت هذه المؤلفات مبكرا، مثل ما ورد عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) ، وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) ، ومقاتل بن سليمان (ت ١٠٥هـ) وغيرهم في هذا القرن وما بعده.

المرحلة الرابعة: مرحلة الجمع والاستقصاء

ثم جاءت فترة تناول النص القرآني من نواحيه المختلفة، مجموعة في تفاسير منفردة، تجمع غالب الخطوات المطلوبة للتفسير التحليلي.

ولعل أقدم من فعل هذه الطريقة ووصلنا كتابه هو الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الإمام الجليل المجتهد، صاحب التآليف المشهورة، وقد برع في علوم كثيرة، منها علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة.

وقد سلك الطبري في تفسره مسلك الجمع والإحاطة والشمول لدراسة النص القرآني، يقول السيوطي: "وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعض على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين".[١]

ولهذه المزايا تبوأ تفسيره مكانة عظيمة عند العلماء، يقول الإمام النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"[٢] ومدحه وأثنى عليه الكثير.

وبهذا يكون الطبري أول من سلك طريقة التفسير التحليلي للنص في كتاب يجمع كثيرا من قواعد هذا العلم وخطواته، كانت كتب التفاسير السابقة تقتصر غالبا على بعض وجوه هذا التفسير، او تعتمد التفسير بالمأثور فقط.

وقد أجمل الشيخ الفرغاني في تاريخه طريقة ابن جرير ومنهجه في تفسيره قائلا: "فثم كتب محمد بن جرير، كتاب تفسير القرآن وجوده، وبين فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأمة، والقيامة، وغير ذلك مما

(١) ينظر: الإتقان: ٤/ ٢١٢.

(٢) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١/ ٧٨.

Issn: 2071-6028

حواه من الحكم والعجائب، كلمة كلمة، وآية آية، فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل".(١)

وبهذا يعد عمله في التفسير الأول من نوعه على هذه الطريقة الجامعة لكل اتجاهات التفاسير السابقة، أو الكتب المؤلفة، كما قال الزركشي: "ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع على الناس أشتات التفاسير، وقرب البعيد".(٢)

وبهذا نقول: إن تفسير ابن جرير له الأولية بين كتب التفسير من الناحية الزمنية والفنية والصناعية، حيث امتاز بها كتابه للطريقة البديعة التي أصبح تفسيره بعدها له قيمته ومكانته.

وذلك واضح من خلال ما عرضه من خطوات التفسير التحليلي المعلومة، فقد اهتم بالآثار والمعاني المنقولة عن السلف، كما بين القراءات ومعانيها وتوجيهها، ثم احتكامه إلى اللغة، وبيان المعروف من كلام العرب، والاستشهاد بالشعر القديم، وكذلك ما عرضه من ذكر المسائل النحوية واختلاف المدارس، فيما تمس الحاجة إليه، إضافة إلى المعالجات الفقهية، وتفسير آيات الأحكام والاستنباط.(٣)

ولقد قدمت عشرات الدراسات الحديثة عن هذ الكتاب، وبيان جزئياته، وما تناوله من علوم كثيرة، والمكتبة القرآنية زاخرة بالكثير من علومه وفنونه.

وقد سار على طريقة ابن جرير هذه أغلب المفسرين، حيث كانوا يتطرقون في تفاسيرهم لخطوات المنهج التحليلي للنص القرآني، على اختلاف فيما بينهم، بين مقل ومكثر في بعض هذه النواحي.

ولعل من أوائل من وصلت إلينا تفاسيرهم متأثرين بطريقة ابن جرير الطبري الإمام الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر (ت ٤٢٧هـ) حيث قال في مقدمة تفسيره: "وخرجت فيه الكلام على أربعة وعشرين نحوا...".(٤)

وقد قال عنه ياقوت في معجم الأدباء: "التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات".(٥).

---

(١) طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٤.

(٢) البرهان: ٢/ ٧٦.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٠٧ وما بعدها.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي: ١/ ٧٥.

(٥) معجم الأدباء لياقوت: ١/ ١٩٤.

Issn: 2071-6028

وما يؤخذ عليه إلا قلة بضاعته في الحديث، وإيراده بعض الغرائب والموضوعات، ووصفه ابن تيمية بقوله: "والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل...".[١]

وقريب منه ما سلكه الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل (ت ٥١٦هـ) إلا أنه أسلم منه من حيث التحري في صحة الأحاديث والآراء المبتدعة.[٢]

واتجه أغلب المفسرين إلى هذا من بعد هؤلاء، كالإمام ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) في كتابه المحرر الوجيز، وقد لخص أقوال المفسرين السابقين، وتحرى ما هو الاقرب إلى الصحة منها، واهتمامه باللغة والنحو كثير، وكذلك القراءات والمسائل الفقهية والبلاغية.[٣]

ولعل وضوح المنهج التحليلي للنص القرآني يبرز لنا بصورة أكثر وأدق شمولا عند أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في تفسيره البحر المحيط، وذلك لتضلعه بعدة علوم، ومنها علوم اللغة والنحو، حيث كان المرجع في ذلك لمن بعده، وقد بين طريقته ومنهجه الذي سيتبعه في تفسيره من خلال مقدمته، وسأذكرها على رغم طولها ولكنها توضح خطوات هذا المنهج بأدق تفاصيله، وأوضح خطواته، فقال: "وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولا

١) بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه.

٢) ثم أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب.

٣) ونسخها.

٤) ومناسبتها وارتباطها بما قبلها.

٥) حاشدا فيها القراءات – شاذها ومستعملها – ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية.

٦) ناقلا أقوال السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، بحيث أني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها.

٧) مبديا ما فيها من غوامض الإعراب.

٨) ودقائق الآداب من بديع وبيان...

٩) ناقلا أقوال الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية...

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية: ٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ٨١.

(٣) مقدمة التفسير: ١٠١.

Issn: 2071-6028

١٠) ثم أختتم الكلام في جملة الآيات التي فسرتها إفرادا وتركيبا، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا...

١١) ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور، أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصا جملها أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذلك معان لم تتقدم في التفسير". ثم قال: "وصار ذلك أنموذجا لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن" وزاد خطوة ليست عامة ولكنها نادرة وعلى حذر فيها، "وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ".[١]

وهكذا وضع أبو حيان خطوات المنهج التحليلي الكامل للنص القرآني، على الرغم ما في كتابه من استطرادات نحوية، وخلافات لغوية كثيرة، جعلت القارئ العادي يتثاقل من ذلك مع ما فيه من خير كثير.

وقد سلكت الموسوعات التفسيرية هذا الاتجاه من التحليل، وأصبح الكثير منها يحمل علوما متعددة، نتيجة التعمق في التحليل والاستطراد الواسعين، مثل الذي نجده عند الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، والقرطبي (ت ٦٧١هـ) ، وابن عادل (ت ٨٨٨هـ) ، ومن بعدهم الإمام الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، وصولا إلا العصر الحديث الذي شهد توسعا في هذا الميدان، فكتبت التفاسير التحليلية الجامعة، كتفسير محمد عبده، والقاسمي، والمراغي، وأبي زهرة، وابن عاشور، والزحيلي وغيرهم.

وأنتجت الدراسات الأكاديمية الحديثة في رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه الكم الكثير من التفسير التحليلي، والتي كانت سمتها التخصص في بعض الآيات، وحسب الموضوعات أو السور، ممن التزم فيها بالخطوات المطلوبة وحسب مناهج وأسس معلومة عند الباحثين.

وبهذا لم يكن التفسير التحليلي وليد العصر، كما ظنه بعض الكاتبين، وإنما كان هو الغالب على التفاسير السابقة وخاصة منها الجامعة الموسوعية، وإن الذي برز أخيرا وتأصل بصورة أوضح وأدق التفسير التحليلي في بعض الآيات أو الموضوعات أو السور.

المرحلة الخامسة: مرحلة الاستقلال والتخصص

وهذه المرحلة كانت بوادرها قديمة، ولكنها توسعت فيما بعد توسعا ظاهرا، حتى أضحى لكل جزئية من جزئيات التفسير التحليلي علم ينفرد به، ومؤلفات مستقلة، ومستوعبة لكل مفرداته، حتى إن الناظر ليخيل إليه أنها علوم ذات طابع خاص، بل أخذت عنوانا في المكتبة الإسلامية باسم (علوم القرآن) وتوسع العلماء فيها بحثا وتأليفا واستقصاء.

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٥٠٤.

Issn: 2071-6028

فلو تتبعت ما كتب في (علم القراءات) وتوجيهها وبيان معانيها، وما يستفاد منها في النص القرآني، إيضاحا وفهما وإبرازا لمعاني وأحكام، لوجدت عشرات الكتب المختصة.(١)

وقل مثلها عما كتب في (الناحية الإعرابية) للآيات القرآنية، فستجد عشرات الكتب الإعرابية، منها المطولة ومنها المختصرة، ومنها ما تناولت القرآن الكريم كاملا، ومنها ما اختارت سورا معينة، أو آيات محددة، أو مواضع من آيات.

وكذلك اختلفت مناهجهم فيها، فمنها ما هو إجمالي، ومنها ما هو تفصيلي، ومنها ما هو تحليلي، أو موضوعي، وكان ذلك على طول الدهور والأعصار قديما وحديثا.(٢)

وكذلك انفرد الاستنباط الفقهي في القرآن بكتب مستقلة وموسعة، وكتب فيها أصحاب المذاهب الفقهية كتب (أحكام القرآن) حسب قواعد كل مذهب، ومنها كتب مقارنة بين الآراء الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية.(٣)

بل إن التخصص والاستقلال نال أدق مسائل التفسير والتي لم يكن للعلماء السابقين بها عناية كبيرة واهتمام واضح لدقته وعسر مسلكه، ألا وهو (التناسب في الآيات والسور) ووجوه الترابط بين آي القرآن وبين سورها، وكانت هناك فيما سبق لمحات ولفتات، إلى أن جاء الإمام البقاعي (ت ٨٨٥هـ) فألف موسوعته (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) في مجلدات عدة.(٤)

أما من (الناحية اللغوية) ومعاني المفردات فعلى كثرة المعاجم اللغوية المنتشرة، فقد اتجه بعضهم لحصر معاني ألفاظ القرآن وبيان معانيها وتقديمها أمام الباحثين في معاني الآيات، ولعل كتاب (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، وكتاب (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) خير شاهدين على هذا التخصص الدقيق.(٥)

وهكذا في مجال (أسباب النزول) الذي استوعب كل ما قيل فيه كل من الواحدي (ت ٤٥٧هـ) ، والسيوطي (ت ٩١١هـ) ، والكتابات لبعض المعاصرين وهي كثيرة.

---

(١) ينظر: علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الإسلامية، د. نبيل بن محمد، مكتبة التوبة، الرياض.

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، للدكتور يوسف خلف العيساوي، دار الصميدي، الرياض: ١٢٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: بحثي الموسوم: الاتجاه الفقهي عند المفسرين، وقد ألقيته في المؤتمر العلمي السادس لكلية الإمام الأعظم سنة ٢٠١٠م.

(٤) ينظر: البرهان: ١/ ٦٠ وما بعدها، والإتقان: ٣/ ٣٢٠ وما بعدها.

(٥) ينظر ما كتبه د. مساعد بن سليمان الطيار في كتابه (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) دار ابن الجوزي، الرياض.

Issn: 2071-6028

أما في المجال (البلاغي والبياني) فرغم وجود مؤلفات مستقلة في العلوم البلاغية في القرآن والبيانية، فإنها لم تتمكن أن تتناول استيعاب القضايا البلاغية في كتاب الله تعالى، وإنما وجدت مقتطفات ومقتبسات هنا وهناك، ودرست من جوانب متعددة تصب في هذا العلم، وأما الاستقصاء فدونه خرط القتاد، لأنه موطن الإعجاز في هذا الكتاب، فلا يمكن الإحاطة به، وإنما هي ومضات ولطائف تشرق بين الحين والآخر ليبقى هذا الكتاب يحمل في طياته سر الإعجاز إلى يوم الدين.(١)

المبحث الثالث

التفسير التحليلي في العصر الحديث

لم تتوقف مسيرة هذا العلم، ولم يتوقف تطوره أيضا نتيجة تطور الحياة بصورة عامة، والدراسات العلمية والأكاديمية، فقد أضيفت إلى الخطوات التي كانت متبعة خطوات أخرى أملتها ظروف الحياة، من مخترعات حديثة ومن بروز علوم عصرية متنوعة.

فقد كانت الخطوات السابقة تتركز حول الأمور التالية:

الخطوة الأولى: بيان معاني المفردات القرآنية.

الخطوة الثانية: بيان أسباب النزول.

الخطوة الثالثة: بيان مناسبات الآيات والسور.

الخطوة الرابعة: بيان وجوه القراءات والإعراب.

الخطوة الخامسة: بيان الوجوه البلاغية، واللطائف في أسلوب القرآن.

الخطوة السادسة: بيان الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية.

الخطوة السابعة: بيان المعنى العام للآية أو الآيات وشرح المعاني والدلالات.

هذه هي عمدة التفسير التحليلي، وقد تضاف إليها أحيانا الكلام عن النسخ أو بعض الرقائق والآداب، وبعض القصص من الكتب السابقة وأمثال ذلك.

كما أود أن أبين أن هذه الخطوات ليست واجبة الترتيب كما ذكرت أو أنها منهج الجميع، فنرى من يقتصر على بعضها، وكذلك نرى من يقدم بعضا ويؤخر أخرى، على حسب ما يراه المفسر مهما في التفسير.

(١) ينظر ما كتبه أستاذنا الفاضل الدكتور فاضل صالح السامرائي، في مقدمة كتابه (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل) ط٢ ، القاهرة.

Issn: 2071-6028

كما أنه لم تعنون أحيانا هذه الخطوات، بل تمزج ويخلط بعضها ببعض، من دون تفصيل.

وفي العصر الحديث ظهرت هناك بعض الاهتمامات لهذا المنهج، سواء من حيث إضافة خطوات أخرى دخلت هذا العلم، أو من حيث التبويب والترتيب، أو من حيث الاستقصاء والإسهاب في كل الخطوات، حتى غدا هذا العلم أكثر تبويبا وتصنيفا، وخاصة في الدراسة الأكاديمية التي تتناول سورا معينة، أو القرآن كله، أو بعض الآيات التي تختص بموضوع معين.

فمن ناحية توسع الخطوات فقد أضيفت إليها مثلا:

١. ما يستفاد من النص

فالنص القرآني يحمل الكثير من الدلالات والمعاني والحقائق والإشارات، وليس هذا بعيدا عنه؛ فهو الذي يعد في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، فلابد وأن يحمل بين جنباته الكثير.

فإضافة إلى بيان ما تقدم من خطوات وبيان معنى الآية في سياق أسلوبها، فيمكن أن تكون هناك دلالات أخرى تفهم من ظاهر النص أو روحه، ولكي توظف هذه النصوص للإفادة منها في الحياة العملية، وتكون منبهة لقارئها، فقد يعطي ملخص الآية أو إيماءاتها، ولربما على صورة معالم واضحة ونقاط محددة.

وقد أعطى لهذا الخطوة عدة أسماء، منها: هداية الآية أو الآيات،[١] ومنها ما أطلق عليه فوائد الآيات.[٢] وكثيرا ما يطلق عليه: ما ترشد إليه الآيات الكريمة.[٣]

٢. حكمة التشريع أو فقه الحياة والأحكام

وهذا ما يلائم عصرنا، حيث تتشوف كثير من نفوس البشر لبيان الحكمة من كثير من التشريعات الشرعية، لكي تطمئن قلوبهم، ويعلموا أنما جاء في ديننا موافق للعقل وللعلم وللواقع، وذلك لانتشار الأفكار الكثيرة التي تزرع البلبلة في عقول النشء وصدهم عن هذا الدين، بإثارة الشبهات والتي تصب غالبها أن هذا الدين لا يلائم عصرنا أو أنها بعيد عن الواقع والتطور العلمي. وهذه نجدها عند الصابوني مثلا في روائع البيان، أو عند الزحيلي في كتابه التفسير المنير.

---

(١) كما فعله أبو بكر الجزائري في كتابه: أيسر التفاسير.

(٢) كما سماه محمد ناصر العمر، في تفسيره لسورة الحجرات.

(٣) وهذا ما فعله محمد علي الصابوني في كتابه روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، أو ما ذكره الدكتور عوض محمد يوسف في فتح المجيد في تفسير سورة الحديد، أو وهبة الزحيلي في تفسيره التفسير المنير.

Issn: 2071-6028

٣. الإعجاز العلمي في النص القرآني

هناك بعض الآيات قد تحمل إشارات إلى بعض العلوم والمكتشفات العصرية، كالعلوم التجريبية والفلكية، وإن كان القرآن ليس كتاب علم فلكي أو كيمياوي أو طبي، فهو يعالج الإنسان وبناءه النفسي والخلقي والفكري ويترك له البحث والتجربة في مجال العلم والبحث.

ولقد رأى العلماء أنه لا مانع من الانتفاع بما يكشفه العلم من نظريات وحقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن، وتوسيع مدلول الآيات بتوضيح تلك الحقائق وتعميقها، من دون إخضاع القرآن لنظريات زعم أصحابها أنه قد استقام لها الاستدلال، وربما تكلفوا وتمحلوا وحملوا آياته ما لا تحتمل.

ولذا لا مانع من تسخير الحقائق العلمية في كشف مدلول الآية القرآنية، فاحتمال الخطأ هنا غير قائم، أما تفسير آية قرآنية بحقيقة علمية أو نظرية علمية محدودة المعالم لا يمكن أن نقطع بأن الآية تدل دلالة قطعية عليها، أو هي المقصود من معناها فقط، ولكن قد يقال إن هذا الاحتمال ضمن معنى الآية الكريمة، حتى لو تبين الخطأ فنقول هنا: كان الخطأ خطأ التفسير، وليس بطلانا لمعنى القرآن الكريم في آية من آياته.[١]

ولذا فمن المستحسن أن يفرد للآية خطوة مستقبلة تتناول هذا الجانب بشروط وضوابط وضعها العلماء للإفادة منه في عصرنا الحاضر، حيث أصبح الاتجاه إلى قبول القضايا العلمية والتجريبية أكثر من كل قضية أخرى قد تكون غيبية أو عدم إدراكها من الجميع، كفصاحة القرآن وبديع نظمه وأسلوبه المتميز، وكم أسلم من أناس في عصرنا الحاضر حينما رأوا تطابقا ما بين المخترعات وما ورد من نصوص في القرآن الكريم.

٤. قضايا تاريخية قديمة أو مكتشفات آثارية أو عادات وأعراف كانت سائدة وقت نزول القرآن أو تاريخ السيرة النبوية

كثير من الأحداث والعادات التي سبقت نزول القرآن وقد تحدث عنها القرآن الكريم، أو مما وقع في عهد النبوة من أحداث تحتاج إلى تفصيل وبيان واف، لكي يفهم مدلول الآية على حقيقتها، ولربما كانت هناك إشارات إلى بعض القضايا تحتاج إلى معرفة تامة بتلك الوقائع لكي تنزل الآيات على وفقها، وإلا كانت معرفتها إجمالية لا تعطي صورة واضحة لدى القارئ للقرآن الكريم، ولربما كانت وقت نزول القرآن مفهومة للجميع، بما عايشوا في ذلك من أحداث أو عادات وأعراف، أو تلك الوقائع في صدر الرسالة من غزوات وسرايا.

---

(١) ينظر: تطور تفسير القرآن: ٢٢٥ وما بعدها، وينظر: لمحات علوم القرآن الكريم للدكتور محمد بن لطفي الصباغ: ٢٩٢ وما بعدها.

Issn: 2071-6028

ولكن يشترط في كل ذلك التوثيق، ومعرفة تلك الحقيقة بالطرق العلمية الصحيحة، وأن لا يقبل الأقوال التي لا تستند على أدلة مقنعة أو معرفة تامة.

وإذا كان الأمر واضحا بالنسبة لوقت نزول القرآن أنه يعتمد أوقال النقلة من الصحابة، ومن ثم تمحيص الروايات عن طريق علم الجرح والتعديل لمعرفة الخبر الموثوق من غيره، فإننا قد نفتقد مثل هذا التوثيق بالنسبة للمسائل التاريخية المتقدمة على نزول القرآن، لذا يجب الحيطة والحذر في تلك الروايات وعرضها على أصول علمية منضبطة كأن تعتمد الأمور التي يجمع عليها نقلة التاريخ أو القضايا المتواترة، أو ما يؤيده المكتشفات الحديثة مثل علم الآثار وما يتصل به من دلائل تكون علمية، وليست من قبيل الخرافات أو الأساطير.

لقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الأخبار عن الأقوام السابقة، وعن تواجدهم في البلدان، كما ذكر بعض الأحداث السابقة والحضارات المندثرة مثل النزاع بين فارس والروم فلا بأس بأن تجعل لكل ذلك خطوات مستقلة.

٥. الثقافات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم التربية، وأصول السياسة، وأصول الإعلام، وأسس الحضارة

وهذه العلوم كانت لها جذور سابقة، ولكنها تطورات في العصر الحديث، وأخذت طابع الابتكار والتجربة أو الاستقلال كما خذت جانب العمق في الطرح والتفكير.

ولا شك أن الكثير منها لها أصول وجذور في القرآن الكريم، يقول السيوطي: "اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض" وقال في موضع آخر: "وقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة...".(١)

فلا بأس بتخصيص خطوة لمثل هذه العلوم، "فهو يوسع أفقه العلمي والثقافي، ويساعده على إدراك المضامين والأبعاد والآفاق القرآنية التي تشير إلى هذه الميادين الثقافية، وفي القرآن حديث عن التاريخ والتغيير، والحضارة والاجتماع وعلم النفس...".(٢)

فما ورد من إشارات إلى مضامين هذه العلوم، على الباحث أن يستقصي ما يمكن تحليل هذه المعاني في ضوء المعطيات الثقافية الإنسانية المعاصرة، لكي ينقل هذه المعاني ويسخر تلك العلوم لخدمة كتاب الله تعالى، إضافة إلى ما قد يجده من حقائق ربما تصحح له بعض ما تقصر فيه البشرية أو تخطئ الطريق نحوه.

---

(١) ينظر: الإكليل في استنباط الترتيل للسيوطي: ١٦.

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د. صلاح الخالدي: ٨٠.

Issn: 2071-6028

ولا مانع للمفسر من أن يستفيد من خبرات البشر في أي فن أو علم، ويكون ذلك خادما للقرآن الكريم، وليس حاكما عليه، أو متجاوزا لمكانته وقداسته.

هذه أهم ما يمكن أن يضاف إلى منهج التحليل لتفسير القرآن لكريم، وقد تكون هناك خطوات قد تستجد حسب العطاء العلمي وتطور الحياة.

الخاتمة

وفي ونهاية المطاف أقول التفسير التحليلي هو منهج تفسيري سلكه أغلب العلماء خدمة لكتاب الله تعالى، فلا يتركون شيئا يمكن أن يوسع دائرة فهم النص ويعمق تدبره إلا سلكوه، ولكن منهم المتوسع، ومنهم الموجز، ومنهم المتوسط، وقد كانت هذه العلوم متداخلة في كتب التفسير، إلا أن الكثير منها أصبحت له خصوصية واستقلال، وألفت فيه الكتب المنفردة.

وقد كان الغالب على التفاسير الموسوعية أنها تستوعب جميع أدوات التفسير لفهم النص القرآني، ولكن قسما منها قد يستطرد لمسائل لا تخصل النص بل لمجرد تعلق ذلك بعلم من العلوم.

وقد أضاف العصر الحديث كثيرا من الزيادات، وأسهم في توضيح النص القرآني بما ينسجم وطبيعة العصر الذي نعيشه، وقد كان للاتجاهات الحديثة دور ريادي في نشر الوعي القرآني باستخدام أساليب إقناعية مثل التفسير العلمي، أو ما أنتجته الثقافات الإنسانية المعاصرة.

وأخيرا، فإن هذا المنهج يعد هو السائد على المناهج الأخرى، وهو القديم الجديد، والذي يعطي للقارئ إحاطة كاملة بفهم النص القرآني، بل ويتطلب منه أيضا الإلمام بعلوم كثيرة ومتشعبة، وبالتالي فإن القرآن الكريم قد هيئ له من أسباب حفظه الكثير، ولعل كثرة التفاسير واختلاف اتجاهاتها مما يشير إلى أحد أسباب الاهتمام بهذا الكتاب الخالد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

Issn: 2071-6028

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن.
٢. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
٣. البحر المحيط لأبي حيان.
٤. البرهان في علوم القرآن للزركشي.
٥. تطور تفسير القرآن، د. محسن عبد الحميد، بيت الحكمة، جامعة بغداد.
٦. التفسير التحليلي للشطر الأول من سورة آل عمران، شاكر جمعة الكبيسي.
٧. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض.
٨. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ط١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٩. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي.
١٠. تهذيب الأسماء واللغات للنووي.
١١. الدر المنثور للسيوطي.
١٢. طبقات المفسرين للداودي.
١٣. علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، د. يوسف خلف العيساوي، دار الصميدعي، الرياض.
١٤. لمحات في علوم القرآن، د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
١٥. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي، ط٢ ، القاهرة.
١٦. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم.
١٧. مقاييس اللغة لابن فارس.
١٨. مقدمة التفسير لابن تيمية.
١٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني.
٢٠. منهج التفسير التحليلي، د. محمد صالح عطية.

Issn: 2071-6028